# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الشارح

الحمد لله على ما أفاض من سوابغ «١» الآلاء، «٢» وأضفى «٣» من أبراد «٤» نوابغ النعماء، سبحانه أثنى عليه ثناء الموفقين، وأحمده حمد الشاكرين، وأستكفيه «٥» نوائب الزمن، وعوادى «٦» الاحن، وأرغب اليه تبارك وتعالى فى العصمة والتوفيق، والتسديد لأقوم طريق، وأسأله عزّ وجلّ

---

(١) سبغ الله النعمة أكملها وأتمها ووسعها. تقول فلان في سبغة من العيش أى في سعة. (٢) الآلاء النعم جمع إلى بكسر ففتح أو بفتح كليهما وفيها لغات أخر ليس هنا متسع لذكرها. (٣) أضفى بمعنى أسبغ. (٤) ابراد جمع بردوهو الكساء المعروف. (٥) استكفيه أى اطلب منه ان يقينى ويكفينى. (٦) عوادى الاحن أى عواقب المحن.

يقيناً يزع «١» النفس اذا نزعت، ويحجزها اذا نزغت، «٢» ويكفها عن ردغة «٣» الهوان ومراغة «٤» المعصية اذا طمحت، ويملك عنى سبيلها اذا أبقت، ويأخذ عليها طريقها اذا هممت، وأعوذ به من الاستنامة الى الضعة، «٥» والاغترار بالسلامة والدّعة، «٦» وأستمنحه الهداية الى عمل يثقل به الميزان، ويتنافس فيه الجديدان، «٧» فيعظم في الناس أثره، ويغشى الأبصار خطره، وأرجو من سيب «٨» نعمته أن يبلغنى برضوانه العزّ الذى لا تقرع مروته، «٩» ولا تلين لغامز قناته، «١٠» فان من اعتزّ به لم تنقض

---

(١) يزع بمعنى يمنع وهو من باب وهب. (٢) نزغ الشيطان بين هذا وذاك أى أفسد ونزغت النفس أفسدت. (٣) الردغة الوحل. (٤) المراغة هو المكان الذى تمرغ فيه الابل. (٥) الضعة ويجوز فيه أيضا ان تكسر الضاد سقوط القدر. (٦) الدّعة الراحة وخفض العيش. (٧) الجديدان الليل والنهار. (٨) السيب بتسكين الياء العطاء والعرف وهو المراد هنا. (٩) المروة واحدة المرو وهو ضرب من الصوان والمعنى الذى لا ينال بسوء. (١٠) القناة عود الرمح وغمزها ضغط عليها والمعني لا يذل لاحد.

مرته « ١ » ولم تقرع صفاته ، « ٢ » واستأنف الرغبة اليه جلّ ثناؤه فى الصلاة والسلام على واسطة عقد الأنبياء ، وأشرف المرسلين والأصفياء ، سيدنا محمد أكرم من أظلته الخضراء ، وأجلّ من أقلته الغبراء ، وعلى آله وصحبه الراشدين ، الى يوم الدين ﴿ وبعد ﴾ فان كان للألسن دولة فاللسان العربىّ أمير تلك الدولة بلا مراء ، ومكان البيان منه مكان التاج من المفرق ، والغرّة من الجبين ، والفصّ من الخاتم * ولو أن للغات عقدا تنزل فرائده من الانتظام فيه على حكم جلالها وجمالها لكانت العربية وهى اليتيمة العصماء واسطة ذلك العقد * ولو طالبت الألسن بملك ضائع لبايعت اللسان العربىّ كواكب الجوزاء ، وأقامت له عرشاً من العظمة على أساس « ١ » من الضياء ، وضربت له قبة من النور فى فسيح السماء * ولو أن اللغات أزهار كأزهار البساتين ، لكانت العربية فيها من غير شك ريحانة الرياحين .

---

( ١ ) المرة في الحبل فتله والمعنى لايضره شيء . ( ٢ ) الصفاة الصخرة الملساء وقرع الصفاة مثل قرع المروة ( ٣ ) الآساس جمع أس وهو الاساس أى الاصل والثانية تجمع على أسس .

وكيف أصف لغة يكاد بيانها يكون سحرا ، وبديعها حلاوة، ومعانيها أنجما وأقماراً ، وألفاظها أزهار ان لم تكن أثمارا ، والاعراب فيها وهو آية العجب يقود المعاني بأمتن زمام ،ويلعب بمرامي الكلام ، لعب الأماني بالألباب والوعود بفؤاد المضنى المستهام ، والمعنى من ورآء اللفظ الذى يشف عنه يتجلى تجلى وجه البدر الضاحى من ورآء نقاب الغمام ، وتراكيبها الفصيحة قائمة بين الملاحة والحلاوة تتألف من ألفاظ لانت حتى كادت تعصر ، وتثنت فأوشكت أن تهصر ، وكأنها عند الوصف حقائق تتجسم حتى تقاطع أشعة العينين ، وتدنو حتي لتكاد تلمسها بكلتا اليدين ، وقد امتازت على غيرها من اللغي الراقية ببلاغة أساليب كانها أخذ السحر، فى سبائك التبر، وبالجملة فان العربية أوسع اللغات تعبيرا ،وأجلها في الحقيقة تصوُّرا وأحسنها تصويرا.

أما وقد امتدّ بى نفس الكلام الى هذا الحدّ ولم يكن في النية بلوغه ، واسترسلت فى الاشادة بمحاسن هذه اللغة بقدر

ماوجدت «١» بها خوف تقوّض ناديها وإقفار واديها، وبلغت في إطرائها قدر ما أحفظ « ٢ » قلبها انحلال عزائم ذويها، وأرمضها «٣» القعود عن نصرتها، والاغضآء عن إقالتها من عثرتها حتى أصبحت في ساقة «٤» اللعات وكانت في طليعتها، وزحزحت عن تصدُّرها ومن قبل كانت في ربيئتها، فلا «٥» ندحة لي عن حثّ علمائها ولفت انظارهم الى الاحتفاظ بها وتوسيع نطاقها والغوص على ما رسب «٦» ولو ظهر لكان لنا به «٧» غناآء عن هذه العجمة، اذ من العار على كل ناطق بالضاد أن تبقى العربية على ما هي عليه الآن من تقصير أوضاءها عن تأدية ماجد من المعاني وتصوير مايراد تصويره في طرزٍ من التعبير يلائم ذوق أهل هذا العصر

وهل ينفع اللغة أو يقصع «٨» غلتها، ويعيد اليها بلتها،

---

(١) وجد به حزن وعليه عضب . (٢) أحفظ أغضب . (٣) ارمض أحرق من الرمضاء وهي الحجارة الحامية . (٤) ساقة الجيش مؤخره بخلاف الربيئة وهي الطليعة . (٥) الندحة السعة والفسحة . (٦) رسب الشيء صار الي أسفل . (٧) غناء اى اكتفاء . (٨) غلة حرارة العطش وقصع حرارة عطشه اى سكنه .

وقفة علمائها وقفة أنجم الصبح فى الحيرة والكسل عن إعادة رونقها اليها ، وإغناء المشتغلين بها عن تلك الأوضاع العامية ، والتراكيب الأعجمية . اللهم ان عزائمهم فى خمود ليس دونه خمود ، وسكون يقرب من الجمود ، واللغة يتجاذبها سلب العدم وجذب الوجود ، ولولا ان منهم فذين ألمعيين عاملين على احيائها لأوشكت اللغة أن تقع فيما نخاف وأعنى بهما الأستاذ اللغوى المحقق والعلامة الكبير المدقق ، الشيخ ابراهيم بن ناصيف اليازجي اللبناني الشهير الذى أشرقت بضيائه أرجاء مصر ، واليه انتهت الرئاسة فى العلوم العربية فى هذا العصر ، والعلامة الأديب الشهير الذى يحب العزلة وتعشقه الشهرة وله على الادب والأدباء ، أياد جميلة بيضاء ، الأستاذ العبقرى المفضال الشيخ محمد المهدى مدرس العلوم العربية بدار العلوم الخديوية .

أما علماؤنا عفا الله عنهم فقد تركوا هذه اللغة وشأنها وهم لا يسجلون بموتها فتدفن مع الآمال ولا هم يستأنفون العزم ويجددون السعى فى سد مواضع الخلل . تدارك ما طرأ عليها من الثلم التي

تزداد اتساعا بضيق صدور معجماتها ، وانفراج مسافة الخلف بين حماها وحماتها ، وقد أوشكت أن يدركها العفاء ، وتقرأ عليها قصائد الرثاء .

وانى أقف عند هذا الحدّ من الحثّ والاطراء ، والتنبيه والثناء ، أما الحثّ والتنبيه فلأن اللغة قد أشرفت على الفناء ولم تغن بما يندر من الألفاظ المعدودة المتداولة على ألسنة الأدباء من فضلاء هذا العصر ، وما يرد فى تضاعيف بعض الكتب الحديثة من الأوضاع التي لم تخلص عربيتها فنعدّها عربية ، ولم تقرب حتي من الركيك المبتذل فنعدّها عامية ، وقد أصبحنا ونحن لانجد الى الابتكار سبيلا ، ولانرى لنا من استعمال غير الفصيح مقيلا ، ولعلّ من أخصّ أسباب ذلك فوضي الطبع ، وقلة من يعنى بتدارك الثلم في مايطبع وينشر في هذه البلاد من مئات الكتب وعشرات الجرائد ، وفقد نفائس الكتب العربية التي صارت اليوم في جملة ما يدّخر كالدفائن ، ويودع فى الخزائن ، وهنا أمسك عن القول ولا أرسل القلم على سجيته لئلا تندر منه رشاشة يقع سوادها فى بياض ماينى

وبين فريق من اخوان الفضل والأدب من المودّة وهم وحدهم المسئولون عما صارت اليه اللغة اليوم وما نخشى أن تصير اليه غدا مما وضح لديهم أثره ، ولم يخف عنهم خبره .

اما اطراء اللغة فلأني لا أعرف لغة أخري تقرب منها في غزارة المادّة، ووضوح الجادّة ، ومبلغ مايستطيع أن يقول فيها مثلي على ضعفه إنها انفردت عن سائر اللغات بيانا وفصاحة وامتازت عنها جلاء ووضاحة ، وقد تقدّم لي وصفها بما لا حاجة بي بعده الى الزّيادة عليه ، والاكثار منه ، بيد أن شغفي بها غشى مني دائرة الخيال ، وملأ جانب التصور ، وشغل فضاء الفكر ، وهذا ما حدا بي الى تتبع آثار الفضلاء من أهلها المتقدّمين ، ومطالعة كتب علمائها السابقين ، وهو مطلب لا يظفر به الانسان عن كثب ، ولا يمشي الي نيله الا على جسر من العناء والنصب ، وكان همي مصروفا الى البحث لعلي أرى فئة من فضلاء المصريين تتعاون على اخراج الكتب النفيسه النافعة مما تركه لنا جلة العلماء السالفين فمازلت أجيل الطرف حتى كان من حسن حظي ان أعرف فتيين أديبين فاضلين هما محمد افندى محمود الخادم ومحمد

افندى حسن اسحق فلما كاشفتهما بما فى نفسي من الغيرة على تلك الآثار الأدبية أجابانى الى ما أريد وعقد كلاهما نيته على معاونة أخيه في هذا العمل المبرور ، وكان فاتحة ذلك أن تكاتفا على طبع ما يظفران به من الكتب النفيسة على نفقتهما وسألانى أن أتولى نظر ما يعزمان على نشره لتصحيحه وشرحه قبل أن يخرج للناس كتابا سويا ، وقد أطرفنا حسن الطالع بكتاب ثمين كريم وهو هذا السفر البديع للعلامة المنفرد بحسن التصنيف ، الغنىّ بشهرته عن الاطراء والتعريف ، الامام أبي منصور الثعالبي مصنف فقه اللغة ويتيمة الدّهر وغيرهما من مؤلفات هي على عزّة الظفر بها أبقى على الزمن الباقى من الزمن ، وكتب أخرى ان لم يدبجها يراعه فمن ، ولعمر الحق إن مثل هذا الكتاب لحرىّ بأن يسهر الجفن فى طلبه ، ويكدّ الطبع فى سبيل الظفر به ، وأعظم بكتاب يضمّ شمل الفرائد الثمان ، ويقيم بناء الفضل ويرفع القواعد من الأدب ، ويريك وأنت قاعد معرض آثار القرائح ، وتغريك ملاحة أوله بحلاوة آخره ، ولا تنتقل عينك فيه من حسن الا الى أحسن ، ولا يجول بصرك فيه من ثمين

الا الى أثمن .وبالجملة فانه الكتاب الذى يزيدك حسنااذا زدته نظرا ، فكيف لايهتزّ له عطف الطبع ، ولايسهد فى تحصيله جفن الفكر ، ولايصغى له سمع العقل .

وهـذه النسخة التى ظفرنا بهـا منه فى دار الكتب الخديوية خطية مكتوبة بقلم لاتكاد تحلُّ رموزه وهى من نفائس ماتركه فقيد اللغة والفضـل الامام العلامة الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي ، غير أنى لما تصفحتها وجدت فيها مواضع تحتاج الى النظر والبصيرة ، ووقعت منها علي معارف كادت تتنكر ، ومعالم أوشكت أن تتستر . الي غير ذلك مما يمل النفس ويسئم الخاطر ، وأغرب من هذا كله ما دخل على بعض ألفاظه من التصحيف ، واعتور رسمها من التحريف ، فقد كنت أرى الكلمة لايطمئن بها مكانها وهى من الاستعجام بحيث أضطرّ الى التـأنى في فهمها ، وتقليبها على الوجوه التى يحتملها المقام ، حتي أردها الى أصلها وكل هذا مما كاد يوئسنى لولا فضل الصبر على هذه المشاقّ ، والضنّ على الترك بنفاسة هذا الـكتاب الحلو المذاق ، فكم تجشمت فيه من عنـآء ،

وراجعت فى سبيل تصحيحه من أمهات اللغة ما فيه الغناء ، حتى ضبطت مايشتبه فيه من كلماته ، وشرحت مايصعب من عباراته ، وصححت مارأيت فيه من الخطأ الذى أدخله عليه النساخ ، ونبهت في مواضع كثيرة الى مظانّ الاحتمال

ولم اضطلع بهذا العبء الثقيل الابعد أن شددت مئزر العناية لاكماله على الوجه المطلوب ، غير حافل بتوزع وقتي فيما بين يديّ من الأعمال الأخري، وقبل أن ألقى القلم من يدى أستغفر الله العلى العظيم مما زلّ به الفكر ، أوطغى به القلم ، وأسأله تبارك وتعالى أن ينفع به المطلع عليه ، والناظر فيه ، وأن يسدّد خطواتي الى مواطن الصواب ، وأن يجزل عنده ثواب شارحه وأجر ناشريه ، انه السميع المجيب

الضعيف

محمد صادق عنبر